بصبح هدف الصهيونية « تجميع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي ، مع التشديد على مركزية اسرائيل في الحياة اليهودية » . واذا كانت اللجنة السياسية للحركة قد اقترحت اضافة عبارة « أرض اسرائيل » بعد عبارة « وطنه التاريخي » ، فان اسقاط هذا الاقتراح لا يعني تراجعا عن المعادلة التقليدية ، بل يعود الى الرأي القائل بانه ليس من المستحسن « التسبب في احراج السياسة الخارجية الاسرائيلية » ، لئلا تنطوي تلك العبارة على دلالة معينة بالنسبة الى قضية الحدود .

لكن ما أحجم عنه المؤتمر الصهيوني لأسباب تكتيكية ، سبق له أن كان لسان حال الاوساط الاسرائيلية في مطلع العام نفسه . فقد كتبت مجلة «ذي اسرائيل ايكونوميست» تحت عنوان « حدود السلام » ما يلي : « ثمة نزعة للبحث عن حدود طبيعية . ومن الواضح ان هذا الامر مرغوب فيه ، لكن الوصول اليه عادة وبصورة كلية لا يتسنى الا للدول الجزيرية (القائمة بذاتها مثل الجزيرة) . فمن وجهة النظر هذه تبدو قناة السويس ، على قصرها وامتدادها المستقيم بمعالمه الواضحة ، أفضل حد مع مصر . بينما يصبح وادي الاردن وغوره السحيق الذي يفصل شرقي الاردن عن فلسطين وكأنه خلق ليشكل الحد الطبيعي بين بلدين . وعليه فان نهر الليطاني هو الحد الأمثل والطبيعي مع لبنان ، كما ان نهر الاردن هو ذلك الحد مع سوريا » . ثم يستدرك كاتب المقالة ليؤكد وجود مقاييس أخرى لتعيين الحدود المنشودة . فيقول : « بيد ان ذلك يؤلف مقياسا واحدا من مقاييس الحدود . فالتاريخ والديموغرافيا والاقتصاد والامن لا تقل أهمية عما تقدم في كثير من الاحيان »(٣).

فالملاحظ ان هذه الاعتبارات الاخرى يجري وضعها أيضا في خدمة الاهداف الصهيونية بحيث تغدو أداة طيعة بتصرف « حدود السلام » . وليس هناك ما يدل على ان الصلح سوف يحمل العقيدة الصهيونية على التخلي كليا ونهائيا عن مضمونها « الارتدنتي » وعن نظرتها الى « أرض اسرائيل في حدودها التاريخية » . فالتراجع عن بعض المناطق المحتلة سوف يضع هذه المناطق في عداد الاجزاء السليبة أو المسلوخة عن أرض الوطن القومي اليهودي ، مما يؤهل العقيدة الصهيونية للالتزام بمسألة « تحريرها » في المستقبل وضمها الى « الوطن الأم » .

ومن المستبعد أن تعمد الصهيونية الى التغلب على ذاتها وابطال منطقها الاساسي بهذه السهولة ولقاء السلام المتبادل . ان ما يقوله الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان بأن « المعنى الاوحد والصحيح للصهيونية يقبع في الحقيقة التي مؤداها أننا استوطنا في يافا . وكل ما عدا ذلك فلا يعدو كونه شروحات وتفسيرات »(٤). هذا القول ربما كان يصدق على فئة قليلة من الذين يتطلعون الى الخلاص من الماضي الصهيوني وتجاوز العقيدة الصهيونية . فالمحاولات الرامية الى تخطي المنطق الصهيوني تبقى حتما أسيرة هذا المنطق بالذات من حيث تدري أو لا تدري . وليس هناك ما يمثل على قصور هذه التوقعات او التمنيات الفردية بصورة افضل من تلك الصورة التي تطالعنا لدى أوري آفنيري .

« اسرائيل بلا صهيونية » ؟

ان احدى النتائج المترتبة عن عقد صلح مع اسرائيل، حتى ولو أبدت اسرائيل استعدادها للتخلي عن القسم الاكبر من الاراضي التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ ، سوف تكون الابقاء على العقيدة الصهيونية في موقع القوة والسيطرة. والحديث عن «اسرائيل بلا صهيونية» لا يعدو كونه شعارا ترفعه أصوات مفردة تفتقر الى القاعدة الواسعة داخل الحركة الصهيونية . ان اسرائيل لا تستطيع نكران ذاتها وتجاوز طبيعتها الراسخة والمتأصلة ، فكيف يتوقع لها أصحاب الشعار المذكور أن ترتد على نفسها وتتنكر للعقيدة التي كانت من صلب مقومات وجودها ؟

يتمنى آفنيري على الصهيونية أن يكون نجاحها بالذات سبيلا لتحولها الى عقيدة ممانة